الشيوعية
وحرية
الفرد
فرانتسيف

فرانتسيف

العضو المراسل فى اكاديمية
العلوم السوفييتية

الشيوعية وحرية الفرد

دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية

موسكو

ما هي الحرية؟

الحرية... كم من الاغانى قيلت فيها، وكم من المفكرين حاولوا أن يدركوا مغزاها. وكم من مرة ضربت المآثر باسمها فى كفاح الشعوب. ان تاريخ الانسانية كله يمكن ان يعتبر الطريق الشاق المعقد نحو الحرية. وعهد البناء الواسع للشيوعية هو مرحلة هامة جدا فى هذا التاريخ الطويل لكفاح الانسانية فى سبيل الحرية. والمؤرخون سيدرسون بدقة، ويصفون كل درجة من درجات هذا السلّم الذى ترتقى فيه الانسانية الى الشيوعية. فتعلمنا الماركسية ان الانتقال الى الشيوعية سيكون للانسانية قفزة من حكم الضرورة الى حكم الحرية. فكيف نفهم هذه الفكرة؟

طبيعى أن الانسان لن يصل أبدا الى أية «حرية مطلقة» من فعل قوانين الطبيعة الفيزيائية والكيماوية والبيولوجية. لقد كتب انجلس يقول: «لا تكمن الحرية فى الاستقلال الوهمى عن قوانين الطبيعة بل فى معرفة هذه القوانين، وفى الامكانية المبنية على هذه المعرفة لجعل

قوانين الطبيعة تعمل لاهداف معينة بشكل نظامى». وعهد بناء الشيوعية هو خطوة جبارة للبشرية فى مضمار السيطرة على قوى الطبيعة، والازدهار الذى لا نظير له فى العلم وتقدم التكنيك. وبدون ذلك لا يمكن أن تكون هناك حرية انسانية، لأن الناس الذين يرزحون تحت قوى الطبيعة يظلمون عبيدا لها. بدون ذلك لا يستطيع الانسان أن يرفع هامته العملاقة. فى عهد النظام القبلى لم تكن هناك سلطة سياسية فلم يكن هناك اضطهاد اجتماعى، ولكن الانسان لم يكن حرا فى المعنى الكلى لهذه الكلمة. ان حرية الانسان فى النظام القبلى الذى يسمى عادة بالشيوعية البدائية فقدت قيمتها بسبب عجزه أمام قوى الطبيعة.


وقد شرع السوفييتيون فى بناء مجتمع شيوعى واضعين الاساس له. والتطور الجبار للصناعة سيمكن الانسان السوفييتى من أن يكون سيد الطبيعة الحقيقى كما سيخلق الوفرة التى ستعنى التحرر من العبء الثقيل «للقوت اليومى». ونجاحاتنا تنبىء بشكل لا نزاع فيه أننا سنبلغ ذلك. فقد اقمنا بداية لعصر غزو الفضاء الكونى. وفى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى رسمت المهمات الجليلة فى حقل التطور الصناعى واستثمار موارد الطبيعة. وشعوب الاتحاد السوفييتى تنجز هذه المهمات بتصميم، وتتغلب على الصعاب، وتتقدم الى الامام.

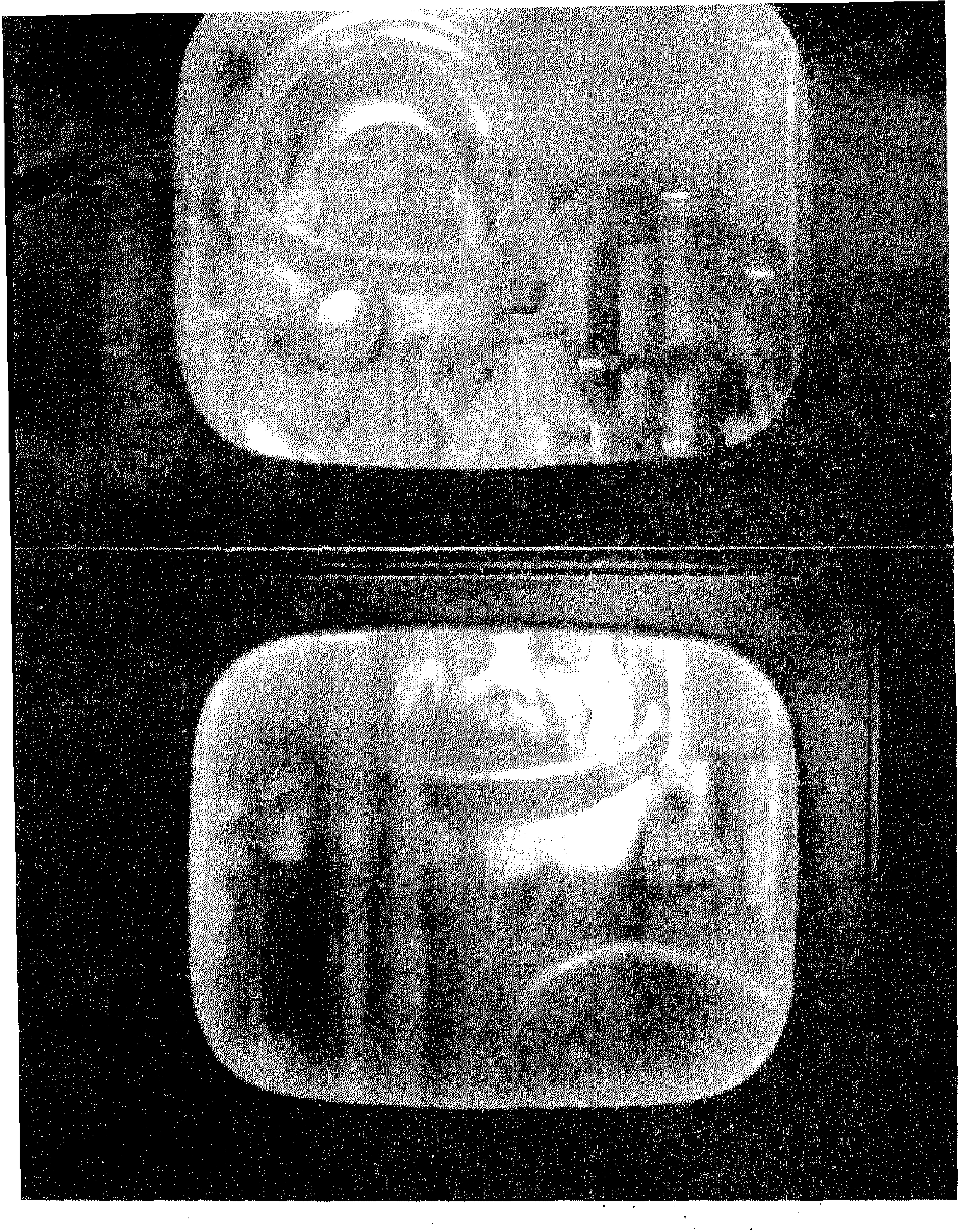
وقد انهضت الرأسمالية قوى انتاجية غير قليلة الا أنها توجه تطورها للاضرار بمصالح الانسان، وتجعل الآلات وسيلة لاستعباد الناس واستثمارهم، وتبدد المصادر المادية والانسانية الهائلة فى اعداد اسلحة الدمار الجماعى.

والشيوعية تحرر العلم والتكنيك وتجعلهما فى خدمة اكثر الاهداف نبلاً – سيطرة الانسان على قوى الطبيعة لخير السعادة الانسانية. اننا نشيد حكم حرية الانسان، واضعين لهذا الحكم اساسا متينا، خالقين القاعدة المادية والتكنيكية للشيوعية.

ويتشوف مشروع السنين العشرين المقبلة لتطور الاتحاد السوفييتى، ذلك المشروع الذى رسمه برنامج الحزب الشيوعى، الى الكهربة التامة للبلاد، وعلى هذا الاساس، الى اتقان التكنيك والتكنولوجية وتنظيم الانتاج فى جميع حقول الاقتصاد الوطنى، والى المكننة المتكاملة، والى اتمتة العمليات الانتاجية على نحو أتم، وادخال الكيمياء الى الاقتصاد الوطنى بصورة واسعة؛ كما يتشوّف المشروع الى التطوير الشامل للانواع الجديدة للطاقة والمواد، والى دمج العلم بالانتاج دمجا أكثر احكاما، والى رفع وتيرات التقدم العلمى والتكنيكى، والى النهوض عاليا بالمستوى الثقافى والتكنيكى للشغيلة، والى التطوير الرفيع لانتاجية العمل وما الى ذلك. وسيصبح الاتحاد السوفييتى نتيجة لتنفيذ هذه التدابير مالكا لقوى انتاجية منقطعة النظير فى جبروتها، متخطيا بالمستوى التكنيكى أكثر الاقطار الرأسمالية تطورا، محتلا المكانة الاولى فى العالم فى المنتجات الصناعية بالنسبة للفرد الواحد من السكان.

ونحو عام ١٩٨٠ سيولد الاتحاد السوفييتى ٢٧٠٠ – ٣٠٠٠ مليار كيلوواط ساعة من الكهرباء، ويصهر ٢٥٠ مليون طن من الفولاذ. وستسد الكميات المستخرجة من النفط والغاز والفحم جميع حاجات البلاد من هذه المواد.





منجزات العلم والتكنيك في الاتحاد السوفييتي مشهورة على نطاق واسع.

في الصورة: ملاحا الفضاء السوفييتيان اندريان نيكولايف وبافل بوبوفيتش قاما في عام ١٩٦٢ ولأول مرة في التاريخ بالطيران الجماعي في الفضاء.

يتضمن انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية في الاتحاد السوفييتي بناء محطات كهربائية جبارة.

في الصورة: قاعة التوربينات في أعظم محطة كهرمائية في العالم: محطة «المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي» على الفولغا.

وسيزداد حجم الانتاج الصناعى بكليته فى الاتحاد السوفييتى نحو عام ١٩٨٠ بما لا يقل عن ٦ مرات، وتزداد المنتجات الزراعية ٣,٥ مرة.

وحين كان الشعب السوفييتى يشيد الاشتراكية ويطور القوة الانتاجية المنقطعة النظير للعمل الحر، الا أنه لم يكن قد تخلص نهائيا من براثن العوز الملحاحة التى حكمت بها على بلادنا سيطرة اصحاب الاراضى والرأسماليين، كانوا فى العالم البرجوازى ما زالوا مستمرين على شلّ وعى الناس بالنظريات الكاذبة عن الرفاه الرأسمالى. وكأنما التقدم الرأسمالى موجه الى أن يصبح المجتمع من السمنة فى آخر المطاف بحيث يصبح كل انسان تقريبا شريكا فى الرفاه، ومالكا صغيرا له كرش صلد. ولكن الناس فى ذلك الوقت ذاته كانوا يموتون جوعا فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بمئات الالوف، وحتى فى الولايات المتحدة كان العمال الزراعيون على شفا المجاعة. الا أن الاقتصاديين وعلماء المجتمع والفلاسفة البرجوازيين والاشتراكيين — الاصلاحيين من كل لون كانوا يعيدون ويصقلون باسطورتهم الكاذبة.

وها قد جاءت الآن ساعة الانعطاف الجديد فى افكار الناس الذين خطفت ابصارهم الاساطير عن الرأسمالية التى تزعم بأنها تخلق الغنى والوفرة على الارض. ويعى الناس فى جميع الاقطار فكرة الغنى والوفرة الاجتماعية التى يخلقها الكل من اجل الكل. ولقد تشوف ماركس بنظرة العالم العبقرية الزمن الذى «تتدفق فيه جميع ينابيع الرفاه الاجتماعى بكامل قوتها». فقد جاء ذلك الزمن. وعنه

يتحدث برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى، وفى ذلك تكمن الاهمية التاريخية للبرنامج. والحق أن الانسانية قد وصلت الى مثل هذه الدرجة من التاريخ الانسانى حيث تتدفق ينابيع الرفاه الاجتماعى بكامل قوتها، فان هذا الواقع يغير جميع التطور العالمى جذريا، ويخلق وضعا دوليا جديدا، ويولد قوى جبارة جديدة للتقدم الاجتماعى، ويدل على ضعف قوى الرجعية والجمود، ويبعث الثورة فى وعى الناس.

ومنذ القدم كانت فكرة الغنى مرتبطة بفكرة الملكية الخاصة، وبفكرة سعادة شخص واحد على حساب تعاسة الكثيرين المريرة. وكان الاندفاع الى التوفيق ومزاحمة الاخرين الشعار الذى كان يعتبر مناسبا لكل تعيس، ولشعوب بائسة بكاملها. لقد كان ذلك صيغة اصيلة للتقدم.

ويحاول بعض النظريين البرجوازيين فى الآونة الأخيرة أن يبرهنوا على أن التقدم يتمثل فى مجرد «النمو الاقتصادى» فى زيادة الثروة. فهذه مثلا نظرية البروفسور روستوو وهو أحد العلماء المستشارين للرئيس كينيدى. الا أن تراكم الثروة فى ايدى الاغنياء، ونمو الثروة الاجتماعية شيئان مختلفان. فالاول عقبة فى طريق تقدم المجتمع الحديث، والثانى يفتح الطريق للرفاهية الاجتماعية التى لا حدود لها.

فماذا يعنى غنى الاقطار الاستعمارية؟ ان الناس فى العالم الرأسمالى يعانون نقصا فى الخيرات المادية، ولكن الاستعمار يبذر الموارد المادية لاعداد الحروب. ويضيق على الزراعة بصورة مصطنعة رغم أن فى العالم ملايين الجائعين،



يجرى بناء البيوت السكنية فى الاتحاد السوفييتى على نطاق واسع. وفى السنوات الاخيرة انتقل أكثر من ٧٥ مليون شخص الى الشقق الجديدة، أى ثلث سكان البلاد تقريبا.

فى الصورة: بناء فى غاية السرعة. فى بحر خمسة أيام تنهض بناية سكنية مكونة من خمسة طوابق.

ويترك قسما كبيرا من الطاقة الانتاجية غير مستثمر، بينما يبقى خارج ابواب المشاريع ملايين العاطلين. ففى عصر النجاحات التى لا سابق لها فى العلم والتكنيك، وعصر التطور الهائل للقوى الانتاجية تعيش مئات الملايين من البشر على كوكبنا فى عوز مدقع.

ويؤكد النظريون البرجوازيون زاعمين بأن هناك الآن تحولات تقدمية فى الرأسمالية وكأن ذلك يزيل «جوانبها الداكنة» السابقة. ومن هنا يكتسب التحليل العلمى الموجود فى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى للظواهر الجديدة فى العالم الرأسمالى اهمية خاصة، ومن هذه الظواهر بالدرجة الاولى ما يتعلق بتحول الرأسمالية الاحتكارية الى الرأسمالية الاحتكارية للدولة. وخلاصة هذه العملية هى ان قوة الاحتكارات تتحد بقوة الدولة فى جهاز واحد، وتصبح الدولة هيئة لادارة قضايا البرجوازية الاحتكارية. ولكن ذلك لا يغير من طبيعة الاستعمار على الاطلاق، فان الهوة بين العمل ورأس المال، وبين غالبية الامة والاحتكاريين تزداد عمقا. وتذهب الموارد المادية الهائلة ادراج الرياح. ويحوّل التقدم التكنيكى ضد الطبقة العاملة، ويستخدم ايضا بصورة رئيسية للاغراض الحربية، وضد المصالح الاساسية للبشرية.

ان استخلاص الملامح المميزة للاستعمار الحديث، والخطوط الاكثر اهمية فى سياسته يعنى اظهار القوى الرئيسية للرجعية المعاصرة الواقفة فى طريق التقدم، يعنى تعليم الناس بأن يميزوا بين العناصر الرجعية بأى زى تزيت، وبين العناصر التقدمية حقا، يعنى تعليم الناس بان يعملوا من اجل التقدم.

ويتقدم الشعب السوفييتى نحو مجتمع الحرية الانسانية الحقيقية وقد قطع فى ذلك طريقا غير قصيرة. فقد قضى فى الاتحاد السوفييتى على الطبقات المستغِلة، وتجرى عملية ازالة الفروق بين طبقتى العمال والفلاحين. وتلبى فى بلادنا على نطاق متعاظم حاجات الانسان الشخصية بفضل الصناديق الاجتماعية، وبفضل الثروة الاجتماعية. وبذلك حلم المفكر الفرنسى فى القرن الثامن عشر - جان جاك روسو أحد المادحين العظام باسم الحرية، فقد كتب يقول: «كلما نُظمت الدولة بشكل أحسن ازدادت سيطرة القضايا الاجتماعية فى وعى المواطنين على القضايا الخاصة، وقلت القضايا الخاصة لأنه سيخصص قسم أكبر من مجموع الخيرات العامة لرفاهية كل شخص فيقل انغماسه فى الهموم الشخصية». ولا يمكن أن يزيح عبء «الهموم الشخصية» عن كاهل الشخص الاعتيادى الا المجتمع الذى يدخر الخيرات العامة، وييسرها لكل شخص. وفى الاتحاد السوفييتى تسد حاجات الانسان كالتعليم والمعالجة الطبية، وجزئيا الراحة المحددة فى المصحات والمنتجعات مجانا أى على حساب الثروة الاجتماعية. وبقدر اتساع الثروة الاجتماعية سيتسع نطاق سد حاجات كل انسان دون مقابل.

وفى عام ١٩٦١ بلغ ما انفق على هذه الاغراض فى الاتحاد السوفييتى ٢٦,٤ مليار روبل مقابل ٢٤,٥ مليار روبل انفق فى عام ١٩٦٠. وبنتيجة تنفيذ برنامج العشرين سنة لبنـــاء الشيوعية ستؤلف الصناديق الاجتماعية للاستهلاك من حيث مبالغها نصف الدخولات الفعلية للسكان تقريبا. وهذا يتيح تحقيق ما يلى على حساب المجتمع:

– اعالة الاطفـــال مجانا فى مؤسسات الاطفال والمدارس الداخلية (حسب رغبة الوالدين)؛

– ضمان العجزة ماديا؛

– التعليم المجانى فى جميع مؤسسات التعليم؛

– الخدمة الطبية المجانية للمواطنين كافة؛

– الاستفادة مجانا من المساكن، وكذلك من الخدمات البلدية؛

– الاستخدام المجانى لوسائط النقل العامة؛

– الانتقال تدريجيا الى التغذية العامة المجانية فى المؤسسات والدوائر ومن اجل الكولخوزيين العاملين فى الانتاج، وما الى ذلك. ونحن متجهون نحو الزمن الذى يحرر المجتمع فيه الانسان – لدى خلق الوفرة فى الخيرات المادية – من الهموم اليومية لكسب الفرد رزقه. وتزداد معرفتنا أكثر فأكثر لقوانين الطبيعة، ونسخرها لخدمة المجتمع، خالقين بذلك وفرة فى الخيرات المادية لكل فرد.

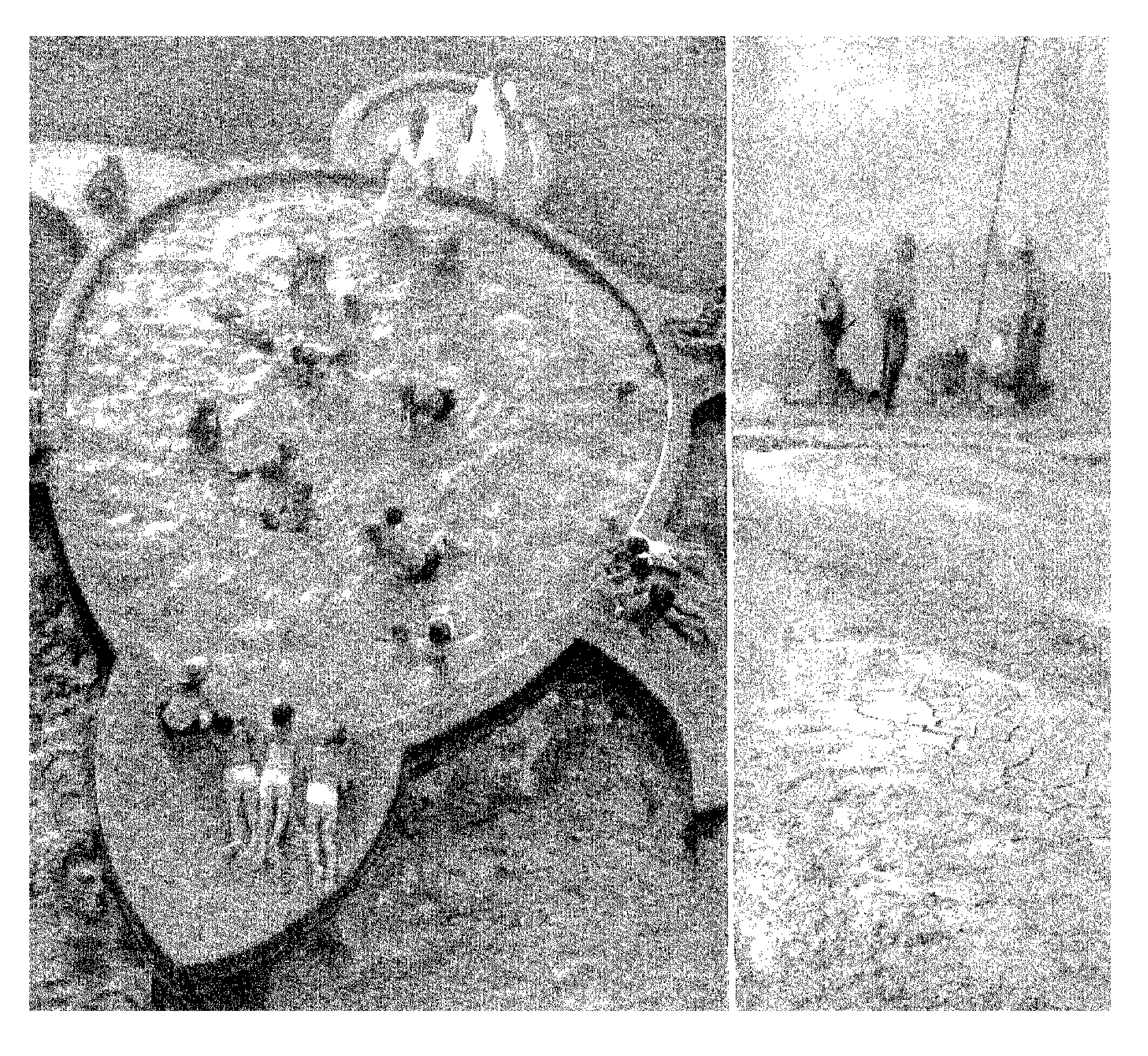
زوال الاستغلال – اساس الحرية الحقيقية

لماذا نعتبر المجتمع الاشتراكى السوفييتى أكثر المجتمعات حرية فى العالم؟ ان الحياة نفسها تقدم الجواب عن ذلك. فى الاتحاد السوفييتى قضى منذ زمن بعيد على الطبقات المستغِلة. وليس هناك استغلال انسان لانسان. ونتيجة لذلك زال الباعث الرئيسى على ان يجور أناس على مصالح آخرين، واختفى السبب فى استعباد الانسان. ان الانسان

ما دام لم يحرر نفسه من قيود الاستغلال لا يمكن ان يكون حرا. فالضرورة الاقتصادية القاسية التى لا ترحم تقسر الانسان الواقع فى الفاقة، ولا تمكنه من أن يقرر بحرية ويختار طريق حياته، ويظهر حرية ارادته. فهل أن قضية ان يكون الانسان العامل فى المجتمع الرأسمالى عامل مصعد أو بروفسورا تتوقف عليه بالذات؟ طبعا لا. «يقولون ان كل انسان واقع فى مصيدة على طريقته الخاصة، ولكن اسوأ كل شيء أن يلزق الانسان هنا... أن تقضى الحياة على خط موصل، فذلك يعنى ان تذهب كل يوم الى العمل الذى لم تفكر قط فى أنك ستشتغل فيه، لوكان لك اختيار فيه. ذلك يعنى أنه لن يراودك أى أمل خلال حياتك العملية كلها». تلك كلمات أحد الشخصيات القصصية للكاتب الامريكى هارفى سفودوس وهو العامل المعدنى جو. وجو صورة جامعة، وفى كلماته تعبير عن افكار وامزجة ملايين من العمال فى العالم الرأسمالى.

وكل الطرق فى المجتمع السوفييتى مفتوحة امام كل انسان. فالرعاة فى الامس يصبحون اليوم علماء، والحائكة الاعتيادية تصبح شخصية سياسية، ونائبة فى برلمان البلاد، وعامل المنجم السابق، نيكيتا خروشوف يترأس حكومة الاتحاد السوفييتى.

وفى الاتحاد السوفييتى توجد الظروف التى تمكن كل انسان من أن يحصل على اى اختصاص وأن يكسب المهنة المفضلة. وفى السنة الدراسية ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ كان يتعلم فى جميع المؤسسات التعليمية فى الاتحاد السوفييتى ٥٦ مليون شخص.



السوفييتيون يعيدون تنظيم الطبيعة.

في الصورة: احدى مناطق آسيا الوسطى. الأماكن التي لم تكن فيها من قبل غير دروب القوافل واشواك الجمال تتحول الى مغنى آهل. هذه «السلحفاة» قد أهديت الى تلاميذ روضة الأطفال التابعة لسوفخوز «تيتوف».

وقد فتح للمشتغلين فى الانتاج ٤٠ معهدا عاليا مسائيا أو بالمراسلة، و٦٧٠ كلية مسائية وبالمراسلة فى المعاهد العادية. وتسهيلا للشغيلة تفتح المعاهد والمدارس المهنية فروعا لها مباشرة فى المعامل. والتعليم فى الاتحاد السوفييتى مجانى. وفى كل عام يتخرج من المهندسين ما يزيد عما يتخرج منهم فى أى قطر فى العالم الرأسمالى. وفى عام ١٩٦٢ حصل الاتحاد السوفييتى على ما يقرب من ٧٦٥ الف اخصائى من ذوى الكفاءات العالية والمتوسطة.

والحاجة الاقتصادية فى المجتمع الرأسمالى تدفع الانسان الى العبودية المنصوصة بالقانون أو غير المنصوصة، انها ترهق وعى الانسان كثيرا.

وقد عصرت الانسان وهو على عتبة الحضارة قوى المجتمع العفوية فى كماشتها، فحولت قسماً من الناس الى عبيد محرومين من الحقوق كليا او جزئيا، وجعلت من آخرين مالكين للعبيد. وفى عهد القنانة قيدت الانسان العامل امتيازات النبلاء التى لا حصر لها، وتعسفهم «القانونى». ان عجزه امام الطبيعة وتعاقب «السنوات السود» والمجاعات والاوبئة كانت تضربه بسياط رهيبة. أما روحه الخائفة من الكنيسة وأصحاب الاراضى فقد كانت دائما حبيسة «خوف الله». وحين انقضت القرون الوسطى المظلمة بنيران ديوان تفتيشها المشؤومة، ترددت على الارض صرخة الحرية عالية على نحو ظاهر، وكانت الاغانى الاولى تلهج بمجدها وشرفها. ولكن لم يكن وراء هذا المطلب غير مطلب البرجوازية فى القضاء على امتيازات النبلاء. واصبحت محفظة النقود سيدة الحياة، وتحت ثقلها شالت كفة العدالة، ولها

سخرت جميع القوانين. وعانت الشغيلة كل اهوال العمل المستعبد المأجور، وتملك روحها - وكأنما ذلك في جب - وعلى حد تعبير لينين «الرعب امام قوة الرأسمال العمياء، فانها عمياء لان جماهير الشعب لا تستطيع أن تتنبأ بها، والتي تهدد في كل خطوة من حياة البروليتاريا وصغار الملاكين بأن تجلب وتجلب بالفعل الخراب «الفجائي» و«غير المتوقع» و«العرضي» والهلاك، والتحول الى فقير ومسكين مدقع، والى مومس، والموت جوعا...». والتحرر من هذا الرعب هو اعظم مكسب للمجتمع الاشتراكي. ان التحرر من الاستغلال هو أعظم كل الحريات التي احرزها الانسان.

وهذا ما يقول عن حرية الشعب السوفييتي يفيم تسابوفسكي ميكانيكي سوفخوز «فولغودون» من مقاطعة فولغوغراد: «أن تسأل انسانا سوفييتيا هل أنت حر شبيه بسؤالك اياه: هل تتنفس الهواء؟»

وها نحن ننقل فكرة يفيم تسابوفسكي عن الحرية بكاملها: «الحق المضمون في العمل هو - بالطبع - واحدة من الحريات الاساسية. فالعمل يعطي للانسان الطعام واللباس، والمنزل والنور والدفء.

وقد ولدت في ظل السلطة السوفييتية ولهذا فأنا لم أمر شخصيا بتلك الظواهر الكريهة كالاستغلال والبطالة. فلم يكن علينا رب عمل بل نحن ارباب العمل انفسنا.

وقد فقدت والدي في سن مبكرة: قتل ابي في الجبهة مدافعا عن وطنه، وماتت أمي. ولكنني لم أعان يوما واحدا مذلة الجوع والوحدة فأنا ككل سوفييتي لي الحق المضمون

منذ اليوم الاول من حياتى فى الضمان والتعليم والعمل والراحة... وابواب المدارس مفتوحة على الرحب والسعة لاولادى يتعلمون فيها مجانا. ونحن لا ننفق فلسا واحدا على العلاج لأن المعونة الطبية مجانية ايضا عندنا.

نحن السوفييت أحرار تماما لاننا ندير بانفسنا مصير دولتنا. وكثير من اصدقائى من الميكانيكيين الزراعيين قد انتخبوا فى مجالس نواب الشغيلة. وأنا نفسى عضو اللجنة الحزبية، وعضو اللجنة المحلية النقابية. ولا يبت باى أمر مهم من امور اقتصادنا دون مساهمة لجنتينا.

وفى العام الماضى انبتّ ذرة طيبة فى ١٠٠ هكتار. وفى الصيف عندما مر نيكيتا سرغييفيتش خروشوف فى فولغوغراد ووقع بصره على حقلى عرّج ليلقى نظرة على «ملكة الحقول». وقد تبادلنا الحديث معه رفاقيا زهاء ساعة. واقول بصراحة اذا كان رئيس الحكومة يزور العامل كند لند، كشغيل لشغيل ويتشاور معه فى شؤون الدولة فان ذلك لا يمكن ان يقع الا فى البلد الذى تكون فيه السلطة للشعب الشغيل». وفى ذلك تمكن بالدرجة الاولى حرية الانسان السوفييتى.

لقد اقمنا مجتمعا اشتراكيا. ولهذا فليس بيننا أحد يجب قمعه أو انتزاع الحرية منه غير المجرمين الذين يفقدونها لفترة تقررها المحكمة. وقد مر وقت كنا مضطرين الى قمع بقايا الطبقات المستغلة منتزعين منها حريتها للتعبير عن ارادتها لأن هذه الارادة كانت موجهة الى الاطاحة بالنظام الاشتراكى. والآن لم يبق عندنا شيء من مثل هذا البقايا من الطبقات المستغلة. ان الاتحاد السوفييتى دولة

عامة للشعب. ولهذا ففى بلادنا توجد الحرية الكاملة للمواطنين. وبانتصار الشيوعية تماما ستقلص الدولة كيانها كليا، وفى حالات معينة سيعاض عنها بالادارة الذاتية الاجتماعية الشيوعية قائمة على الاقناع لا القهر. وتفقد السلطة الطابع السياسى، وسيتبعها الناس كما يتبع الموسيقيون مايسترو جيدا.

وتضمن الدولة العامة للشعب الحرية التامة للتطور الاجتماعى: فيملك العمال والفلاحون والمثقفون حقوقا وامكانيات متساوية لتطورهم الشامل. وليست عندنا امتيازات لاحد من الناس، ولا حقوق خاصة، ولا افضليات. ودولتنا تضمن التطور الوطنى الحر تماما لجميع شعوب البلاد السوفييتية. ان نظام الدولة المؤلف من جمهوريات اتحادية، وجمهوريات ذات حكم ذاتى، ومقاطعات قومية ذات حكم ذاتى ودوائر قومية ذات حكم ذاتى يوفر لجميع الشعوب – صغيرها وكبيرها – امكانية تطوير لغاتها القومية، وثقافاتها الوطنية، وأحسن تقاليدها. والحق ان الاتحاد السوفييتى هو بلاد تتطور فيها ثقافات جميع الشعوب القاطنة فيها تطورا جبارا، وهذا هو المظهر الاكثر اهمية لبناء الدولة والحياة الاجتماعية.

وأدى قيام الثورة الثقافية فى الاتحاد السوفييتى الى ازدهار حقيقى فى العلم والثقافة. فقد قضى على الامية بين السكان منذ زمن طويل. وفتحت فى البلاد شبكة كثيفة من المدارس ومؤسسات التعليم العالى ومعاهد الابحاث العلمية. وفى جميع الجمهوريات الاتحادية الخمس عشرة المؤلف منها الاتحاد السوفييتى تعمل اكاديميات للعلوم وتوجد الكوادر



الانسان فى المجتمع الاشتراكى ممجد بالعمل.

فى الصورة: اشتغل تيخون ترتياكوف سنين عديدة كصاهر فولاذ. أما الآن فيتمتع بتقاعد. وكتعبير للاحترام العميق الذى يكنه الشعب لخدمات العامل فى ميدان العمل أطلق اسمه على باخرة من بواخر أسطول نهر الفولغا.

الوطنية من المشتغلين فى حقول العلم، والاخصائيين فى الهندسة والتكنيك. وتتحدث الحقائق التالية بفصاحة عن نطاق التعليم فى الاتحاد السوفييتى: فى العام الدراسى المنصرم تعلم فى الاتحاد السوفييتى واحد من كل اربعة من السكان، وتعلم فى المعاهد العالية والمدارس التكنيكية ذات الاختصاص ما يربو على خمسة ملايين شخص.

ولم ينهض الشعب الروسى وحده نحو الحياة المشرقة فى ظل الاشتراكية بل نهضت ايضا جميع الشعوب الاخرى الساكنة فى البلاد. ففى الماضى لم يكن فى جمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية ـ اوزبكستان، وقرغيزيا، وطاجيكستان، وتركمانيا، وكازاخستان، أى معهد للتعليم العالى. أما فى الوقت الحاضر فهناك عشرات من المعاهد العليا يدرس فيها كل عام ما يزيد على ٢٠٠ الف طالب. ومن بين كل عشرة آلاف شخص من سكان تلك الجمهوريات يوجد ٨٨ طالبا فى المعاهد العليا بينما لا يوجد فى فرنسا بين نفس هذا العدد من السكان غير ٤٠ طالبا وفى ايطاليا ٣٤ طالبا، وفى المانيا الغربية ٣١ طالبا أى ما يقل ثلاث مرات تقريبا عما يوجد فى جمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية التى كانت تعتبر فى الماضى الاقاصى المتأخرة للامبراطورية الروسية.

وقد شمل التطور الواسع فى جميع الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الفن السينمائى والمسارح والاوبرات العاملة بلغة كل شعب، والراديو والتلفزة والصحافة. وتصدر صحف مثل «البرافدا» و«ازفيستيا» و«ترود» وغيرها بملايين النسخ، وتصدر الصحف فى كل منطقة ادارية، وحتى فى المشاريع الكبيرة. وغالبا ما يسمى الضيوف الاجانب

الاتحاد السوفييتي بالقطر القاريء. والكتاب هو الملازم اليومي لكل شخص سوفييتي. وفي عام ١٩٦١ وحده طبع في الاتحاد السوفييتي ١٢٠٠ مليون كتاب، أي بمعدل ٥ كتب لكل مواطن سوفييتي، أو بمعدل كتاب واحد لكل ثلاثة سكان في الكرة الارضية.

والاتحاد السوفييتي ذائع الشهرة جدا في غزو الفضاء، وفي استخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية، وفي حل مشاكل العلم المهمة الاخرى. وتساهم الشعوب السوفييتية كلها في هذه القضية الكبيرة. وذلك أصدق لسان يتحدث عن درجة التطور في الثقافات الوطنية للاتحاد السوفييتي.

الفرد والمجتمع

لا يمكن ان يوجد في المجتمع الانساني استقلال الفرد المطلق عن المجتمع. فمثل هذا الاستقلال ليس الا من وحي الخيال. وفي واقع الحال أن الاحاديث عن مثل هذه «الحرية» تغطي في العادة الاعمال المناهضة للمجتمع، والموجهة للاضرار بالاشخاص الاخرين. والتقولات البرجوازية عن «حرية الفرد المطلقة» ما هي الا اساطير فارغة ومضرة. فلا يمكن أن يوجد مجتمع انساني لا يعرف أي فاصل بين ما هو مسموح به وما هو غير مسموح. ومن هناك فان هذه الحرية كانت تعني القضاء على أية حياة اجتماعية، وعلى أي وحدة اجتماعية، على المجتمع ذاته.

ويذكر مكسيم كوفاليفسكي العالم الاجتماعي الروسي في القرن التاسع عشر ظهور هذا المبدأ منذ فجر التاريخ

«المبدأ القائل بأن كل ما يسهم فى نجاح الجماعة المادى والخلقى يعتبر صالحا مرغوبا فيه، محافظا على العادات ومقبولا، وبالعكس كان كل ما يلحق الضرر لهذا السبب أو ذاك بمصلحة الجماعة وبامنها، وبنجاحها المادى، وبشرفها يعتبر طالحا، مشينا وغير محتمل بالطبع». ولا تتميز هذه الافكار فى المجتمع البدائى بالوضوح، وهى مغلفة بكفن الخرافة، وضيقة الافق. ويذكر كوفاليفسكى مثلا، هذا القانون للمجتمع البدائى: «ما هو مسموح مع الغرباء غير مسموح مع أهل المشاعة». وفيما بعد أملى مجتمع ملاكى العبيد مبادئ جديدة للحلال والحرام على الانسان، واذ ذاك كان كل ما هو حلال لملاك العبيد حراما على العبد. وفى المجتمع الاقطاعى قيدت الكادحين ايضا اصفاد نظام القنانة والسلطات من الدرجات المختلفة.

واستهل القرن الثامن عشر بالمطالبة بالحقوق الديموقراطية الشكلية. وكان ذلك على حد تعبير أحد المفكرين الروس الثوريين مطلبا لا يمكن تلبيته كأن يكون لكل انسان «حق» فى ان يأكل فى طبق من ذهب. وتطور الافكار الديموقراطية فيما بعد فى مجرى النضال الاجتماعي طرح مطلب ايجاد ضمان واقعى مادى لتطبيق الحقوق الديموقراطية للشعب. وبدون هذا تظل جميع الحقوق والحريات الفاظا فارغة.

وحين ظهر لينين والحزب الشيوعى فى حلبة النضال السياسى وضعا قضية الحرية على ارض الواقع الملموس، ورفضا مجادلات النظريين البرجوازيين الكاذبة والمضببة عن «الحرية عامة». وطرحا القضية على هذا النحو: الحرية

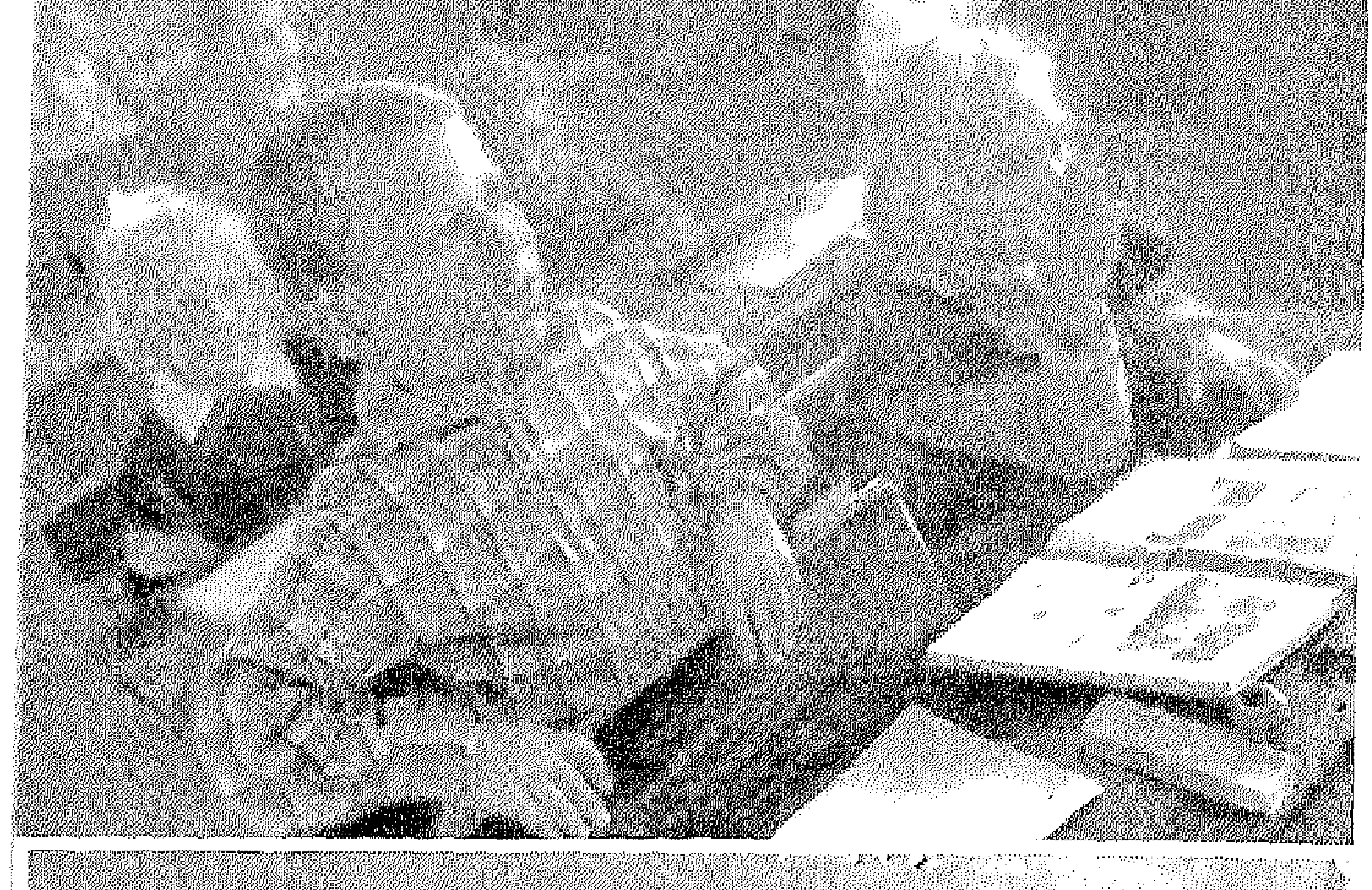
لمن والحرية **من أى شيء**. وجوابا عن السؤال الاول يمكن ان نقول: ان لنا حرية للجميع. وليست لنا أى قيود على جنس أو على قاعدة قومية أو دينية. لقد بلغنا الحرية الواقعية للضمير فاصلين المؤسسات الدينية عن الدولة، قاطعين صلات هذه المؤسسات برأس المال. وجميع المواطنين بغض النظر عن عقائدهم الدينية وقومياتهم، يتمتعون بحقوق متساوية فى البلاد السوفييتية الحرة. اما اذا طرحنا السؤال الثانى: الحرية فى الاتحاد السوفييتى تعنى التحرر من اى شيء؟ فسيكون الجواب هكذا: انها التحرر من الاستغلال، التحرر من جميع اشكال النير الروحى، وبالتالى انعتاق الفكر الانسانى والعمل الانسانى من جميع القيود العتيقة التى خلقتها سيطرة المستغلين الاقتصادية والسياسية والروحية.

ولو جمعنا المجادلات التى قيلت عن الحرية، والتى استخدمت فى الدعاية المناهضة للشيوعية لوضح لنا أن اكثريتها تتلخص فى الدفاع عن الفردية: فالحديث دائما يجرى عن «حرية الشخص» ولكنهم بذلك يعنون حرية الملكية الخاصة. وتبرز فى المقدمة «حرية المشاريع»، المبادرة للقيام بعمل تلك الحرية التى يزعم أن الرأسمالية الحديثة تضمنها. والمفهوم الدارج هو كالآتى تقريبا: الملكية الخاصة تخلق «ديموقراطية اقتصادية» معززة المشاريع والمبادرة الشخصية. «فالديموقراطية السياسية» تطابق ذلك ايضا. اما الملكية العامة والاقتصاد المخطط فيخنقان، فى زعمهم، هذه المبادرة، ويؤديان الى «النزعة الشمولية» والى سيطرة الدولة، وغير ذلك من الاثام المميتة.



يعود المغتربون من مختلف أطراف العالم الى وطنهم الاتحاد السوفييتي ــ بلاد الحرية الحقيقية. وفى عام ١٩٦٢ عاد الى الاتحاد السوفييتي من تركيا «البولافينيون» الذين هم من أحفاد قوزاق الدون اضطهدتهم القيصرية، واضطروا الى هجر روسيا قبل ٢٥٠ عاماً.

فى الصورة: البولافينيون فى الدراسة، بعضهم يتعلمون التكنيك وآخرون يدرسون اللغة الروسية.



وذلك محض هراء. اولا لأن تطور المبادرة الشخصية والمشاريع الشخصية هو أبن أمس الرأسمالية الغابر وليس هو يومها. ورجال الدعاية البرجوازيون يغشون فى ورق اللعب مستبدلين فى دعايتهم العصر الحديث بعهد ما قبل الرأسمالية الاحتكارية. ثانيا، وحتى فى ذلك العهد كانت المشاريع والحرية من نصيب القليلين، وكانت الجماهير الكادحة تعيش فى عوز وحرمان. ثالثا ان الاشتراكية وحدها تخلق جميع الظروف للنمو المطرد للمبادرة، والابداع الخلاق لجميع الشغيلة، ولكل شخص على انفراد.

وقد مر وقت كانت الرأسمالية فيه تحتل مكان الاقطاعية وقد أثارت فى الناس لحد معين حب القيام بالمشاريع، والطاقة، وجرأة العزيمة. وفى ذلك يكمن سر القوة الخلاقة لتلك العصور كعصر النهضة، والقرن الثامن عشر، والنصف الاول من القرن الماضى بصورة جزئية. ولكن تلك المشاريع اذ ذاك لم تشمل فى اية حال من احوال طبقات واسعة من السكان، ولم تكن على نطاق جماهيرى واسع فى الحقيقة. فهناك ازاء شخص «محظوظ» قد «شق طريقه» فى الحياة واتيحت له امكانية استثمار الاخرين مئات بل آلاف «التعساء» يعانون شظف العيش، مضطرين الى العمل للاخرين، لاثراء الاسياد.

ولكن عن أى «حرية شخصية» و«حرية القيام بالمشاريع» يمكن ان نتحدث الآن فى ظروف الرأسمالية الاحتكارية؟ لقد كتب لينين يقول: «ان المنافسة فى عهد رأسمالية كهذه تعنى القمع الوحشى الذى لم يسمع به من قبل قط للمشاريع والطاقة وجرأة العزيمة لجماهير السكان،

الغالبية العظمى، التسعة والتسعين بالمائة من الشغيلة، وتعنى ايضا استبدال المباراة بالغش المالى والطغيان والخنوع فى الدرجات العليا من السلّم الاجتماعى».

والآن فى ظروف رأسمالية الدولة الاحتكارية تعنى المنافسة أن تسحق جملة من الاحتكارات المشاريع الاخرى حتى التابعة للبرجوازية المتوسطة التى لا يسمح لها أن تسمن. وتنشد الاحتكارات البرجوازية الصغيرة من يديها ورجليها، وتصك عليها انيابها قويا. وتصاب مشاريع الملاكين الصغار فى العادة بالخراب التام، لأنها لا تصمد الى المنافسة مع الاحتكارات ذات الجبروت. وقد افلس فى الولايات المتحدة فى كانون الثانى ١٩٦٢ وحده حسب اقوال الصحافة الامريكية ١٥٦٧ شركة وبيتا تجاريا. وفى حقيقة الامر أن هذا الرقم مخفض فهو لا يشمل غير الملكيات التى بيعت فى المزايدات العامة، والشركات التى لم تسد ديونها للدائنين. وتلاحظ هذه الصورة نفسها فى الزراعة فى الولايات المتحدة تقريبا. فالاستثمارات الكبيرة تزدهر، والصغيرة غالبا ما تخسر، وتصاب بالافلاس. وخلال السنوات الثمانى التى ترأس فيها ايزنهاور افلس فى الولايات المتحدة أكثر من مليون مزارع. وهذه العملية مستمرة حتى الآن. فماذا يمكن ان يقال بعد هذا عن المبادرة وعن مشاريع العمال؟ فى الولايات المتحدة مثلا هناك بعض العمال الذين يشترون – فى محاولات للاثراء – اسهما فى الاحتكارات الكبيرة، ولكنهم لا يصبحون من جراء ذلك مالكين لمصانع أو مشاريع اخرى. ففى احسن الاحوال يتسلمون عن هذه الاسهم بعض عشرات من الدولارات كربح. ثم يكونون الاوائل فى ضياع توفيراتهم

نتيجة للدسائس المختلفة فى البورصة. وحين حلت الكارثة فى بورصة نيويورك فى أيار (مايو) الماضى كان اصحاب الاسهم الصغيرة أول من طرحها فى السوق، وباعوها باثمان زهيدة.

ويهيمن طغيان الاحتكارات على الحياة السياسية كلها فى الاقطار الرأسمالية. ولم يبق فى الوقت الحاضر أى شيء حتى من الديموقراطية النسبية التى كانت قبل ظهور الرأسمالية الاحتكارية. فاذا اخذنا الولايات المتحدة على سبيل المثال لا يصعب علينا أن نلاحظ سيطرة مصلحتين سياسيتين على الحياة العامة: الحزب الديموقراطى والحزب الجمهورى. وكلا الحزبين مرتبط بصورة قوية بما يلائمه من تجمعات الرأسمال الاحتكارى. وكل المنظمات السياسية الاخرى للبرجوازية أو البرجوازية الصغيرة ازاحتها هاتان المصلحتان. ومثل الناخب مثل مشتر فى سوق يسيطر عليه الاحتكاريون لا يستطيع أن «ينتخب» الا بضاعة هذه المصلحة أو تلك من المصالح الكبيرة، انه لا يملك غير مثل هذا «الحق من الانتخاب»: فاما ان ينتخب المرشحين لهذه المصلحة السياسية أو تلك. وتظهر فى الاقطار الرأسمالية الاخرى مثل هذه الاتجاهات فى تطور التنظيم السياسى للمجتمع فى عهد الاستعمار.

ولهذا السبب يحاول الساسة البرجوازيون فى هذا الوقت بالذات ان يعطوا لمفهوم الحرية عن قصد مدلولا فضفاضا غير محدد، مجردين اياه من كل مضمون واقعى. ولهذا السبب يتردد فى رنين أقوى السؤال الذى طرحه لينين فى زمانه والشيوعيون: الحرية مم؟ والحرية لمن؟

فى الاتحاد السوفييتى ليست هناك حرية واحدة وهى الحرية القريبة على وجه خاص الى قلب البرجوازية — حرية العيش على حساب الاخرين، حرية الاستغلال والتطفل والامتصاص. والسوفييتيون لا يعترفون لأى انسان « بالحق » فى أن يعلن: ان شئت اشتغلت وان شئت لا اشتغل. ذلك لأن هذا فى الواقع ومفسرا بلسان العلائق الاجتماعية يعنى: ان شئت اشتغلت وان شئت عشت على حساب الاخرين، على حساب الذين يشتغلون. وتثير النظرة الطفيلية الى العالم والى العلاقات الانسانية المقت فى نفوس السوفييتيين. اننا لا نقر بحرية الانقطاع عن العمل لا على الصعيد القانونى ولا على الصعيد الخلقى للحياة الاجتماعية. ان كل رغبة فى الاثراء على حساب الاخرين، وانتهاك المصالح الشرعية للاخرين مهما غطيت بالحقوق الخاصة للفرد هى انانية برجوازية مقيتة، وفردية قصوى. انها نزعة الى العيش على حساب الاخرين.

وليس فى المجتمع الرأسمالى ولا يمكن ان تكون أية حرية للانسان من العلاقات البرجوازية القائمة على الاستغلال، على سيطرة الرأسمال. ان هذه العلاقات البرجوازية تتخلل نطاق الحياة الاجتماعية كله: الاقتصادى منه والسياسى والايديولوجى. ومفهوم الحرية نفسه يتلخص فى حرية مشاريع المالك الكبير، صاحب الرأسمال العظيم. وللمجتمع الاشتراكى قوانينه الخاصة وأسسه وقواعده التى لا يسمح المجتمع لأحد بأن يتجاوزها. انه يقف بالمرصاد ضد المحتالين والطفيليين والمتبطلين الراغبين فى العيش على حساب الاخرين. انه تنظر اليهم كاعداء للمجتمع.

فيم تتلخص تشدقات النظريين الاستعماريين عن «حرية الابداع»؟ انها في واقع الامر تسعى الى الفوضوية الفكرية وتعظ بالفرد والمرتد المناهض للجماعة. وفريق منهم يمثل «حرية الابداع» كتحرر من كل المبادىء، كاللامبدائية على صعيد النظرة الى الكون. ولكن الابداع لا يمكن ان يكون دون نظرة الى الكون، دون مبادىء ثابتة. ان اللامبدائية تعني انهياره وانحطاطه وتحوله الى عمل اعتباطى فارغ. والعمل الاعتباطى ليس هو الابداع لأن الابداع لا يمكن ان يكون بدون مغزى وهدف، بدون افكار جليلة. اما مغزى الابداع وقيمته فيحددهما المجتمع الذى يتيح للفرد امكانية الخلق.

الانسان الحر حرية حقيقية

اعاد الحزب الشيوعى والدولة السوفييتية المبادىء اللينينية لحياة الدولة والحياة الاجتماعية، تلك المبادىء التى خرقت فى الماضى. والآن تمتاز البلاد السوفييتية بأعلى احترام للحريات المدنية كلها. والتطبيق الأكثر دقة للقوانين السوفييتية المثبتة ومراعاة حقوق المواطنين هو اساس لعمل الدولة السوفييتية.

ولادراك جوهر الحقوق المدنية فى المجتمع السوفييتى واختلافها العميق عن الديموقراطية البرجوازية ينبغى أن لا يغيب عن الاذهان أن فى الاتحاد السوفييتى لا وجود للتجمعات الاجتماعية، المتعادية بعضها لبعض التى يمكن لها ان تتطاحن على السلطة. فاذا لم يكن هناك تطاحن على


السلطة تكف الديموقراطية تبعا لذلك عن ان تصبح مسرحا لهذا التطاحن. وفى المجتمع الاشتراكى تجرى عمليات ديموقراطية حقا فى طبيعتها: وهى النقد الحر لاخطاء فى عمل مختلف المنظمات والموظفين، والنضال النظامى ضد كل بيروقراطية.

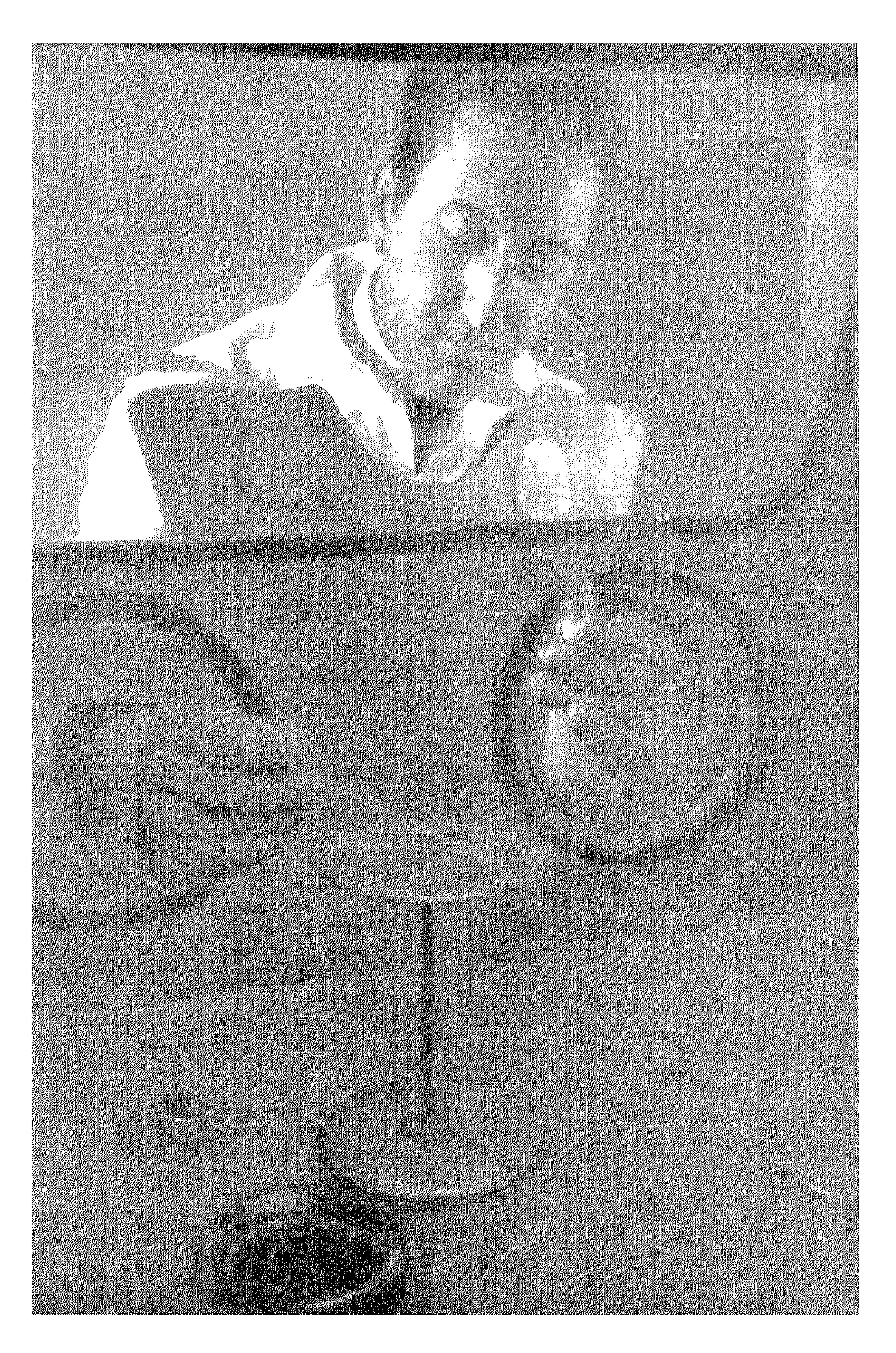
وتزداد مساهمة الجماهير أكثر فأكثر فى ادارة شؤون الدولة والمجتمع. وهذا مثل واحد من الامثلة البارزة. انتخب فى الانتخابات الاخيرة لمجالس نواب الشغيلة المحلية زهاء مليونى شخص. وتعتمد المجالس فى عملها على الجماهير الواسعة من الشغيلة النشطاء ويزيد عددها على ٢٠ مليون شخص. وفى عام ١٩٦٠، ساهم فى عمل المؤتمرات الانتاجية الدائمية فى مشروعات البلاد زهاء ٣٧ مليون عامل ومستخدم. وينبغى التأكيد على ان هذه المؤتمرات تتولى البت فى مجموعة واسعة من قضايا الانتاج، وادارات المشاريع ملزمة على تنفيذ المقترحات التى تقدمها هذه المؤتمرات. أفليس هذا استعمال الجماهير للحريات الديموقراطية؟

وكثير من وظائف جهاز الدولة تنتقل بالتدريج الى المنظمات الاجتماعية. وقد جاء فى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى: «**ان تطوير وترقية الديموقراطية الاشتراكية من كل النواحى، واشتراك جميع المواطنين اشتراكا نشيطا فى ادارة الدولة وفى قيادة البناء الاقتصادى والثقافى وتحسين عمل جهاز الدولة وتعزيز الرقابة الشعبية على نشاطه، ذلك هو الاتجاه الرئيسى لتطوير نظام الدولة الاشتراكية فى مرحلة بناء الشيوعية**».

هذه الصورة مأخوذة فى شقة عامل عائد الى الوطن هو أرسين تير ـ اوغانسيان الذى جاء الى الاتحاد السوفييتى من سوريا فسكن فى اريفان عاصمة أرمينيا.

هناك بيوت كثيرة من هذه فى أرمينيا. وتعيش فيها عائلات عادت لتعيش فى أرض آبائها.





جاء هاملت فارتابليان الى أرمينيا من فرنسا. وهو يعمل في معهد للأبحاث العلمية ويشتغل في البحوث في حقل الذرة.

ويجذب الحزب الشيوعى والدولة السوفييتية دائما الجماهير الشعبية الواسعة لمناقشة القضاياً الاكثر اهمية، التي يقرر حلها تطور المجتمع السوفييتي. وقد صارت مناقشة برنامج الحزب الشيوعى في الاتحاد السوفييتي حقا قضية الشعب باسره. وقد حضر في الاجتماعات الخاصة لمناقشة المشروع ما يقرب من ٧٣ مليون شخص، وتكلم اثناء هذه المناقشات ٤ ملايين و ٦٠٠ الف شخص. وارسل من الشغيلة الى اللجنة المركزية للحزب وادارات الصحف والمجلات اكثر من ٣٠٠ الف رسالة تحتوى على آراء ومقترحات عن المشروع.

ويجرى الشيء ذاته مع الوثائق المهمة الاخرى للحزب والدولة. فقد ساهم ٥٠ مليون شخص في مناقشة موضوعات تقرير نيكيتا خروشوف «عن التطوير الابعد للنظام الكولخوزى واعادة تنظيم محطات التراكتورات والآلات»، ونشر عن طريق الصحافة والاذاعة ١٢٦ الف مقالة ورسالة من الشغيلة تضمنت تعديلات واقتراحات وملاحظات عممت فيما بعد واخذت بعين الاعتبار من قبل مجلس السوفييت الاعلى الذى صادق على القانون. اما موضوعات تقرير نيكيتا خروشوف في المؤتمر الحادى والعشرين للحزب الشيوعى في الاتحاد السوفييتي عن مشروع السنوات السبع لتطوير الاقتصاد الوطنى للاتحاد السوفييتي فقد عقد لمناقشتها زهاء مليون اجتماع حضرها ٧٠ مليون شخص، وادلى فيها زهاء ٤,٧ مليون شخص بملاحظاتهم واقتراحاتهم واضافاتهم ونشر في الصحف اكثر من ٣٠٠ الف مقالة.

وفى عهد النظام الاشتراكى اصبحت الصحافة المتحررة من ربقة الرأسمال، المعبر الحقيقى عن الحياة الاجتماعية، وفيها يساهم مساهمة فعالة ملايين الناس السوفييتيين. فهناك اكثر من خمسة ملايين مراسل من العمال والفلاحين يساهم فى الجرائد والمجلات. وذلك فى الواقع رقم جبار يظهر اهمية كلمة الصحافة، وقرب الصحافة من الشعب فى الاتحاد السوفييتى.

والرأى العام فى الحياة الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى قوة هائلة فهو الذى يحدد منزلة كل انسان من الرئيس الى العامل الاعتيادى. وقد زالت فى المجتمع الاشتراكى لاول مرة فى التاريخ كل امكانية لارشاء الرأى العام بل المواهب الشخصية وحدها والاخلاص الفكرى والصفات الخلقية هى التى تحدد فى هذا المجتمع منزلة ومقام كل انسان. وتسمق أعلى فأعلى متطلبات المجتمع الخلقية، وتكسب صفات كالنزاهة ومتانة الخلق والوفاء للواجب الاجتماعى اهمية عظمى.

ان الحرية الحقيقية للانسان هى امكانية تطوير كل مواهبه وكشفها فى عمله، وتطويرها دون توقف. وبهذه الحرية حلم التقدميون على مدى العصور معتبرين هذه الحرية اسمى الخيرات واثمن القيم فى الحياة الانسانية. لقد خلقنا مجتمعا يطلب من الجميع أن يعملوا حسب قابلياتهم. ذلك قانون حياتنا، واساسها الخلقى. وذلك أعظم مكسب للانسانية. ونحن نخلق مجتمعا يستطيع أن يشبع كليا احتياجات الانسان. يجرى فى الاتحاد السوفييتى تغير فى وعى الناس ونفسياتهم، وتجميع لكل الثروات الروحية

للشخص. وستكون الشيوعية مميزة كما كتب لينين بـ «العمل ينجز بحكم العادة للمنفعة العامة، وبالموقف الواعى (الذى دخل فى حكم العادة) نحو ضرورة العمل للمنفعة العامة، العمل بحاجة للكيان المعافى». وفى عهد الشيوعية سرعان ما ستدخل **ضرورة** مراعاة القواعد الاساسية غير المعقدة لكل مجتمع انسانى فى حكم **العادة**. واذ ذاك سيحل الاقناع محل الارغام بصورة كلية فى الحياة الاجتماعية وفى جميع مجالات العلائق الاجتماعية. ان الشعب السوفييتى يبنى هذا المجتمع!

بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية فى بلادنا جرى نضال عنيد قال عنه لينين انه «اعظم نضال ذات اهمية عالمية تاريخية للوعى الاشتراكى ضد العفوية البرجوازية الفوضوية». وانتصر الوعى الاشتراكى. وكان ذلك النضال يعنى فى نفس الوقت النضال من اجل الانسان الكامل القيمة ومن اجل حرية افكاره وارادته وعمله. والآن يعترف الجميع، حتى اعداؤنا، بعظمة الانسان السوفييتى الحر اليوم، سيد مصيره، المدرك جيدا بأن كلمة «انسان» لكلمة يفخربها. ويقول نيكيتا خروشوف: «**ان اعظم القيم التى خلقها النظام الاشتراكى هو الانسان الجديد البانى الفعال للشيوعية**. ويقدم الشعب السوفييتى البرهان تلو البرهان على مدى اقتدار انسان العالم الجديد، الانسان الحر حرية حقيقية».

وليست العفوية هى صفة التطور الاجتماعى والسياسى لمجتمعنا بل الوعى المتنامى والتنظيم. فبدون وعى وتنظيم عاليين لا يمكن ان تكون ثمة حرية. ان العفوية تجرد

الانسان من الحرية، وتحط من شخصيته، وتقلل من امكانياته. والاقتصاد السوفييتي المخطط دليل ساطع على سيطرة الانسان على قوى المجتمع الجبارة. وفي بلادنا لم يعد الانسان يحس بنفسه منذ زمن بعيد ذرة ضئيلة في فوضى الزوابع و «الهبوطات» و «الصعودات» في العفوية الاقتصادية كما يحدث في الرأسمالية. بل الصفات المميزة للانسان السوفييتي هي موقفه الواعي من عمله، والمساهمة الفعالة في اعداد مشاريع تطوير الاقتصاد الوطني. ومن الضروري لبلوغ الهدف العظيم وهو بناء الشيوعية أن توحد جميع قوى الناس السوفييتيين. ولهذا نقوم بعمل تنظيمي وتثقيفي هائل بين الجماهير البانية للمجتمع الجديد. وتنمو باطراد مبادرة الناس واندفاعهم الذاتي الخلاق في العمل وفي جميع نواحي الحياة الاجتماعية. ويلعب حزب الشيوعيين دورا جبارا في ذلك كمنظم وملهم للنشاط الخلاق للجماهير.

ولا يمكن لحزب الشيوعيين أن يلعب دوره هذا في الحياة الاجتماعية للبلاد لو لم يعتمد في كل نشاطه على شبكة واسعة من مختلف المنظمات الديموقراطية للشغيلة. واشكال هذه المنظمات متعددة. فهي مجالس السوفييتات التي تضم ملايين النواب المشتغلين في عمل الدولة. وهي النقابات التي توحد جيشا جرارا من العمال على نطاق الدولة كلها، والتي تلعب دورا كبيرا في ادارة الاقتصاد، وفي تنظيم الراحة، وتطوير الثقافة، ومنتجعات والصحة العامة، والضمان الاجتماعي، وهي منظمات الشباب والنساء والاتحادات الفنية كاتحادات الكتاب والفنانين والملحنين والمعماريين وما الى ذلك. فبدون نشاط هذه الشبكة

الفن في الاتحاد السوفييتي تحت متناول جماهير الشعب الواسعة.

في الصورة: حفلة في احدى ورش مصنع السيارات في مدينة غوركي.



المؤلفان الموسيقيان آرام خاتشاتوريان ودميتري شوستاكوفيتش وسط العمال الشبان.

الواسعة من المنظمات الديموقراطية للشغيلة لا يمكن فهم حياة المجتمع السوفييتي الذى يستمد قوته من الطاقة الاجتماعية العظيمة، والاندفاع الذاتى للجماهير.

وخلق الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتي كوادر رائعة من المنظمين فى حقل الصناعة والزراعة والعلم والثقافة. وهم أناس ناضجون فى موقفهم السياسى، عارفون لعملهم، شغوفون به، متمتعون فى كل مجمع بمنزلة هم أهل لها. ويعمل اعضاء الحزب الشيوعى فى كل مكان فى المصانع ومواقع البناء والكولخوزات والسوفخوزات ومعاهد الابحاث العلمية والمنظمات الثقافية. وهم لا يتمتعون باى امتيازات وينفذون واجباتهم كموجهين للجماهير، حاصلين على القناعة الخلقية العظيمة لاعتراف المجتمع بقيمة عملهم. فما هى الصفات المميزة لعمل الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتي؟ انها فى معرفة العمل والمهارة فى الجمع بين النظرة السياسية الواسعة وبين الفهم الواضح لمهام الحياة اليومية. وهى الصلات الوثيقة بالجماهير، والسعى الى تنظيم عمل الناس الاجتماعى بصورة جيدة والى ايقاظ روح المبادرة عندهم، وخلق دائمى للظروف الضرورية لاظهار قابليات كل انسان، والحرص الدائمى على خير المجتمع وعلى متطلباته المادية والثقافية المتنامية. ولولا هذا الدور الجبار الذى يلعبه الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتي فى الحياة الاجتماعية للشعب السوفييتي لما استطعنا ان نحرز حرياتنا، ولما استطعنا السير بنجاح فى طريق الشيوعية التى هى حكم الحرية.

محتويات

الى القراء

ان دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية تكون شاكرة لكم أذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب وترجمته، وشكل عرضه، وطباعته واعربتم لها عن رغباتكم.

العنوان: زوبوفسكى بولفار، ٢١.

موسكو ــ الاتحاد السوفييتى.

Ю. П. Францев

КОММУНИЗМ И СВОБОДА ЛИЧНОСТИ

